Daily Life in Some Western European countries During the Spread of the Black Death epidemic (Plague), and it's Effects (1346 - 1353 AD)

Mohammad Mursi Hadia

Abstract

The deteriorating situation experienced by Western European countries at all levels during the first half of the fourteenth century A.D. has played a role in preparing the land in front of the Black Death epidemic (plague), whose emergence and spread in the European West caused a societal catastrophe in the full sense of the word. Its features appeared on the daily life of people at all levels, in both the countryside and the cities, and people lived with the obsession of disease and death and lost loved ones for years, and the people were divided between a powerless ruler, a religious preacher preaches, a doctor tries to heal the sick, a monk who helps to bury the dead, a man immersed in sins wandering on the face in the desert, and another who whips himself atonement for his sins a serf that escapes from slavery to liberation. Then, as a result of the horrific epidemic and its rapid spread, it killed humans and animals together, and it caused time to stop when it spread, so the habits of people changed in their daily lives, and it left various effects on the political, social and economic conditions, negative at times and positive at other times.

Key Words: Epidemic – Pandemic – The Black Death – Septicaemic Plague – Pneumonic Plague – Bubonic Plague – Messina Port – Daily life - the deaths – Flagellants.

الحياة اليومية في بعض بلدان غرب أوروبا خلال انتشار موجات وباء الموت الأسود (الطاعون) والآثار المترتبة عليه (1346 – 1353م)

محمد مرسي عبدالله هدية

مدرس، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا، جمهورية مصر العربية

الملخص

كان للوضع المتردي الذي عاشته بلدان غرب أوروبا على الصُّعد كافة خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي دور في تهيئة الأرض أمام وباء الموت الأسود (الطاعون)، الذي أدى ظهوره وانتشاره في الغرب الأوروبي إلى إحداث كارثة مجتمعية بمعنى الكلمة، ظهرت ملامحها على الحياة اليومية للشعوب على المستويات كافة في الريف والمدن على حد سواء، وعاش الناس مع هاجس المرض والموت وفقد الأحبة لسنوات، وانقسم الناس بين حاكم لا حول له ولا قوة، ورجل دين يعظ، وطبيب يحاول مداواة المرضى، وراهب يساعد في دفن الموتى، ومستغرق في الذنوب، وهائم على وجهه في الصحراء، وآخر يجلد نفسه تكفيراً عن ذنبه، وقن يهرب من العبودية إلى التحرر؛ ومن ثم فنتيجة لهول الوباء وسرعة انتشاره فقد فتك بالإنسان والحيوان معاً، وتسبب في توقف الزمن وقت انتشاره، فتغيرت عادات الشعوب في حياتهم اليومية، وخلف آثاراً مختلفة على الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، سلبية تارة وإيجابية تارة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الوباء، الجائحة ، الموت الأسود ، الطاعون الدموي ، الطاعون الرئوي ، الطاعون الليمفاوي (الدبلي) ، ميناء ميسينا ، الحياة اليومية ، الوفيات ، حركة الجلادين.

مقدمة

شهدت البشرية عبر تاريخها الطويل وحتى عصرنا الحالي كثيراً من الأوبئة، وراح ضحيتها كثير من الناس، والمرض والصحة بيد الله، سبحانه وتعالى، كما أن الأمور كلها منه وإليه، خلق الداء والدواء، وجعل من الداء دواء، ومن الدواء داء، وبيده كل الأسباب.

وفي هذا البحث المعنون "الحياة اليومية في بعض بلدان غرب أوروبا في ظل موجات وباء **(Epidemic)** الموت الأسود The Black Death 1346 – 1353م" نتناول بالدراسة مظاهر الحياة اليومية في غرب أوروبا في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، في ظل انتشار أحد أشرس الأوبئة وأشدها فتكاً على مر العصور، وهو طاعون الموت الأسود، الذي وصفه العديد بأنه جائحة (Pandemic) عمت العالم بأسره، ومن ثم حاولت الدراسة إلقاء الضوء على الموقف الرسمي والديني والطبي والشعبي من هذا الوباء، وطرق التعامل معه والوقاية منه، وبشكل عام حاولت الدراسة تعرّف طبائع الحياة اليومية في الريف والمدن، في أثناء تفشي الوباء خلال تلك الفترة.

ومن ثم جاءت هذه الدارسة لتجيب عن العديد من التساؤلات، منها : ما الوضع الذي عاشته أوروبا في بداية القرن الرابع عشر الميلادي؟ وما طبيعة الكوارث الطبيعية؛ مثل المجاعات والزلازل التي تعرض لها الغرب الأوروبي خلال تلك الفترة؟، وكذلك الآثار الناجمة عن الحروب سواء أكانت حروباً أهلية داخلية أم حروباً خارجية بين الممالك؟، وما الدور الذي لعبته تلك الأوضاع في تهيئة التربة المناسبة لاستقبال وباء الموت الأسود؟، وعن الأخير كثرت التساؤلات، من أهمها: ما طبيعة مرض طاعون الموت الأسود؟، وما مصدر نشأته؟ ومن أي البلاد وعبر أي الطرق دخل إلى أوروبا؟ وما تفسير المعاصرين لأسباب ظهوره وانتشاره؟، وما أنواعه؟، وما طرق انتشار العدوى؟، وما طبيعة الحياة اليومية المترتبة وأهم مظاهرها التي عاشها سكان الغرب الأوروبي آنذاك؟، وأخيراً ما الآثار السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي خلفها ذلك الوباء؟

أولاً : أحوال أوروبا خلال القرن الرابع عشر الميلادي

شهدت أوروبا خلال القرن الرابع عشر الميلادي العديد من التغيرات على جميع الصُّعد؛ حيث عرفت أوروبا حوالي عام 1300م نوعاً من الازدهار، تمثل في ازدياد ملحوظ في عدد السكان، وباستقرار سياسي نسبي تميز بسيطرة عدة ملكيات ذات شأن، ونفوذ بابوي مطلق، وفكر مسيحي شديد الرسوخ، وبمؤلفين مشاهير دينيين أو دنيويين، وبفن معتدل، وتصميم على التوسع تجلى في المجال الاقتصادي، كما في المجال الديني، غير أنه مع توالي العقود الأولى من القرن الرابع عشر، بدأت تتراكم الصعوبات وتتزايد الشدائد، مترافقة مع الأزمات، والانتفاضات والاضطرابات والمخاطر؛ حيث كانت أوروبا على موعد مع مرحلة طويلة من التراجع الديموجرافي والانهيار الاقتصادي والضائقات المادية والحروب الأهلية أو الخارجية وعدم الاستقرار السياسي، والتأزم الديني والفكري، إن عاجلاً أو آجلاً، وبحسب المناطق وأنواع المشكلات، ستخرج أوروبا من جراء هذه الفترة الطويلة من الانكماش والانحباس، التي تداخلت فيها الأزمات؛ هزيلة في بعض جوانبها لكنها ستكون أكثر اكتنازاً وعافية، وسينصب الاهتمام على وضع الخسائر والأرباح التي عرفتها أوروبا في أثناء مسيرتها الطويلة القاحلة[1].

ومن ثم فإن مجتمعات الغرب الأوروبي آنذاك ومنذ بداية القرن الرابع عشر الميلادي بوجه خاص كانت قد شهدت زيادة سكانية متزايدة؛ بحيث عجزت الأرض عن مقابلة احتياجات تلك الزيادة الهائلة من المحاصيل الزراعية، هذا على الرغم من إحلال الزراعة محل مساحات كبيرة من الغابات، كذلك قل الإنتاج بسبب إجهاد الأرض وعدم وجود الوسائل العلمية التي يمكن استخدامها في زيادة الإنتاج أو تخليص التربة الزراعية المجهدة من الأملاح وتحسين وسائل الصرف[2].

والواقع أن غالبية المدن في الغرب الأوروبي لم يراع فيها الاهتمام بالشؤون الصحية أو الاهتمام بالنظافة؛ فيذكر البعض أن الناس كانوا يمشون في برك المياه المنتشرة في شوارع المدن، حتى إنه إذا كان هناك ارتفاع بسيط في منسوب المياه كانوا يغرقون فيها. كما أن المناخ كان له دور مهم في زيادة التدهور الاقتصادي؛ ذلك أن البرودة الشديدة أدت إلى تجمد كثير

من الأنهار الجليدية، وكذلك أنهار جبال الألب؛ مما أثر على زراعة الغلال والكروم بشكل خاص؛ مما تسبب في سلسلة من مواسم الحصاد الهزيلة، وما نجم عن ذلك من اضطراب في شتى نواحي الحياة، أضف إلى ذلك أن الطاعون عندما انتشر في ربوع الغرب الأوروبي وجد سكاناً ليس لديهم أية مقاومة له، ممزقين بالحروب وسوء التغذية، منهكين في العمل للحصول على قوتهم الضروري، هذا علاوة على سوء الأحوال الصحي،ة وبخاصة أن المدن الأوروبية آنذاك كانت بيئة لنشر عدوى كثير من الأمراض[3].

وبالإضافة إلى ما سبق كان هناك حالة عامة من انعدام الخدمة الصحية في العديد من مدن الغرب الأوروبي؛ وذلك لندرة ما به من مستشفيات وأطباء، وعلى حد قول البعض من خلال تصويره لمجتمع تلك الفترة بأن الناس هناك قبيل حلول الطاعون كانوا في حالة نفسية وصحية لا تسمح لهم بمقاومة مثل هذا الوباء الخطير والمفاجئ، وقد رحب كثيرون منهم بهذا الموت الجماعي لخلاصهم مما كانوا يعانون من سوء التغذية وسوء الأحوال الاقتصادية والمالية ونكبات الطبيعة وكثرة الحروب والمنازعات التي عمت كل القارة الأوروبية[4].

وليس أدل على المصائب والمصاعب التي كان يعيشها سكان الغرب الأوروبي من أن دعاء "نجنا يا إلهي من المجاعة ومن الطاعون ومن الحرب" كان هو الدعاء السائد الذي يتضرع به السكان إلى الله في زمن الشدة خلال القرن الرابع عشر الميلادي على وجه التحديد، والحقيقة أنه اجتمع على سكان أوروبا خلال تلك الفترة مصائب الحرب والمجاعات والأمراض والأوبئة، وعلى رأسها الطاعون؛ حيث ضعف الناس تحت وطأة سوء التغذية وأعيتهم الأوبئة بسهولة[5].

وهذه الأوبئة بدورها تسببت في توقف غالبية الأعمال في المزارع وعدد كبير من المصانع؛ الأمر الذي ترتب عليه نقص كبير في الموارد، ومن ثم حدوث جدب كبير، هذا، وقد بدأ القرن الرابع عشر في أوروبا الغربية بالمجاعات، التي استمر تهديدها في غالبية سنوات ذلك القرن؛ ففي كل سنة وبخاصة في فصل الربيع، فصل تلاحم المواسم كانت السنوات العجاف توقظ القلق والخوف من العوز إلى القوت والغذاء؛ حيث جاءت المجاعات بالشدة المستعصية، التي ترتب عليها تردٍّ في جودة المحاصيل وكميات إنتاجها

لسنوات عديدة، حتى إن البعض شبه الأمر بأنه (ثورة مناخية) واستدل على ذلك بتراجع كتل الغابات في ألمانيا الوسطى، وتوقف زراعة الحبوب في أيسلندا، وتراجع كميات الإنتاج للقمح في إنجلترا، حتى أنه ظهرت مشكلة واضحة في التموين بداخل ألمانيا منذ عام 1309م، ثم تعممت في أوروبا الشمالية بأكملها، وبلغت أقصى شدتها في السنوات الواقعة بين عامي (1315 و 1317م)[6].

وعلى هذا نجد أن عدداً كبيراً من مدن الغرب الأوروبي فقدت العديد من سكانها من جراء انتشار المجاعات، حيث أن هذه المجاعة المخيفة ألقت الخراب على كل أوروبا من عام 1315م حتى عام 1317م، وسببت خراباً عظيماً أكثر من أي مجاعة سبقتها، ويأتي مثالاً على ذلك مدينة (يبريس Ypres) في بلاد الفلاندرز – بلجيكا حالياً– التي قضت المجاعات خلال عام 1316م على أكثر من 10 % من السكان؛ حيث توفي ما يقرب من 2794 نسمة من عدد السكان الإجمالي البالغ 20000 نسمة، هذا من جانب، ومن جانب آخر وفي غضون أقل من عشرين عاماً فيما بعد تعرضت العديد من مدن الغرب الأوروبي المطلة على البحر المتوسط للجدب والقحط، ومنها أكيتانيا (Aquitania) ولانجيدوك (Languedoc) وبروفانس (Provence) بفرنسا، وبدورها عانت إسبانيا من مصاعب خطيرة؛ حيث تشير محفوظات البلديات الإسبانية إلى عودة المجاعات بشكل دوري، غير أن أسوأ التأثيرات وأكثرها سلبية كما يذكر البعض تلك التي تعرض لها عمال مدن بلاد الفلاندرز وأبناء أرياف ومدن الجزر البريطانية؛ حيث كانوا هم ضحاياها الأساسيين[7].

ويتضح ذلك من خلال ارتفاع الأسعار الذي ترتب على تلك الأزمة؛ حيث ارتفعت أسعار الحنطة إلى 300 % في تولوز (Toulouse) بفرنسا، وتعرض الناس للجوع، وفي الوقت الذي كانت فيه الموانئ – ومنها ميناء بوردو (Bordeaux) بغرب فرنسا – أقل بلاءً من المدن الداخلية، وذلك لتوافر المخزون فيها؛ لأنها تعتبر مناطق المصب؛ كانت مناطق داخلية مثل يبريس وبروج (Brugge) في داخل بلاد الفلاندرز أطبقت عليهم المجاعات، وفي الغالب كانت الأرياف مهددة بالمجاعة أكثر من بعض المدن[8].

ومن ثم فإنه علاوة على سوء الأحوال الجوية الذي شهده الغرب الأوروبي خلال العقد الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، والذي نجم عنه العديد من المجاعات؛ فإن

أوروبا قد اجتاحتها مجاعات رهيبة في السنوات من 1315 – 1317م، في الوقت الذي لم تكن هناك أية مؤسسات حكومية للتخفيف من حدة هذه المجاعات، كما لم يكن هناك أي نظام لترتيب حركة انتقال الفائض السلعي من مناطق الوفرة إلى مناطق الندرة، فأصحاب شون القمح، وهم غالباً الطحانون، في الوقت نفسه كانوا يقومون بتخزين القمح وإخفائه حتى ترتفع أسعاره، هذا في الوقت الذي بذلت فيه الكنيسة كل جهودها عن طريق جمع الصدقات وتوزيعها، ولكن في البلدان التي تضررت من المجاعة كانت الكنيسة فقيرة تماماً، وعندما كان المعدمون يجدون مستودعاً لخزن الغذاء فإنهم يهاجمونه وينهبونه خشية الموت جوعاً[9].

وفي تلك الأوقات العصيبة فإن الإنتاج الصناعي في القرى والمدن عادة ما يصاب بالشلل، ويتم طرد الكثير من الأيدي العاملة، ويحدث نوع من الخلل بين عمليتي العرض والطلب، واكتشفت الحكومات عملية التضخم، ولم يكن في استطاعتها إصدار ورق البنكنوت، إلا أنها استطاعت أن تقلل من كمية الذهب والفضة في عملاتها؛ مما كان يؤدي إلى اضطراب قاعدة المعاملات بهذين المعدنين، كما نلاحظ في عملاتنا الفضية القديمة. وكان الفقراء وهم غير القادرين على فهم النظريات الاقتصادية يقومون بتوجيه اللوم للسادة الأغنياء والثورة عليهم وقتلهم باعتبار أنهم السبب في كل ما يلحق بهم من مصير محتوم[10].

علاوة على هذه الكوارث الطبيعية التي شهدها الغرب الأوروبي خلال القرن الرابع عشر الميلادي أضيفت كوارث سياسية ليست أقل منها؛ فقد تمزقت إيطاليا من خلال الحروب الأهلية طوال ذلك القرن، أما ألمانيا فكانت نهباً لفوضى سياسية دائمة، وكذلك إسبانيا انشغلت بالحرب ضد المسلمين، وأخيراً فإن حرب المائة عام دمرت فرنسا وأجهدت إنجلترا، كل ذلك كان إثقالاً لكاهل أوجه الحياة المختلفة في الغرب الأوروبي، وساهم في تفاقم الأزمة مع حلول وانتشار موجات وباء الموت الأسود في هذه البلدان[11].

ثانياً: وباء الموت الأسود: نشأته، وطبيعته، وأسباب وطرق انتشاره، .....إلخ

عُرِفَ العام الذي انتشر فيه وباء الموت الأسود بعام العجائب؛ نظراً لأن أوروبا

شهدت كارثة اجتماعية عامة اجتاحت كل دولها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وحصدت من الناس أكثر مما أفنته مائة سنة من الحروب في العصور الوسطى؛ فعلى الرغم من أن البشرية على مر عصورها التاريخية شهدت كثيراً من الأوبئة؛ فإن وباء الموت الأسود (الطاعون Plague) الذي انتشر في الفترة من عام 1346 حتى عام 1353م ينفرد بأنه أكثر الأوبئة التي عرفتها البشرية فتكاً وهولاً، فعلى الرغم من كونه وباء epidemic؛ إلا أنه يعد الجائحة pandemic الثانية –الأوبئة التي تتأثر فيها مناطق جغرافية واسعة وتستمر موجاتها لعقود أو حتى لقرون– التي ضربت أوروبا آنذاك، تمييزاً لها عن الجائحة الأولى، التي عرفت باسم طاعون جستنيان عام 541م –استمرت موجاتها حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، في حين شغلت موجات الموت الأسود في أوروبا الفترة من عام 1346م حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادي[12].

و بحسب ما يشير المقريزي – أحد المؤرخين المعاصرين الثقاة، الذي تعد روايته أدق وأشمل الروايات، التي وصفت هذا الوباء– فإن وباء الموت الأسود (الطاعون) قد امتدت آثاره لتعمّ أقاليم العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وأنه أنشب مخالبه في جميع أجناس البشر، حتى شمل أثره العديد من الكائنات الحية على وجه الأرض، وأن ذلك الوباء لم يُعْهَد في الإسلام مثله، وأول ابتدائه شمال البحر الأسود وبحر قزوين وحوض الفلجا، وحملته الريح إلى بقية البلاد؛ فمر بإسطنبول وأنطاكية وبغداد وجميع بلاد الشام، وابتدأ بأرض مصر في خريف سنة 748هـ وانتشر في الإقليم بأسره واشتد في سنة 749هـ (1347م) فمات بالقاهرة والفسطاط الآلاف في كل يوم، ويدفن في الحفرة الواحدة الثلاثون والأربعون، وكانت علامات الموت به أن يبصق الإنسان دماً ثم يصيح ويموت، أما مظاهره في دمشق؛ فكان يخرج خلف أذن الإنسان خراج صغير فيخر صريعاً، ثم صار يخرج بالإنسان غدة شبه الخراج تحت إبطه فلا يلبث أن يموت سريعاً، ويشير كذلك إلى أن العدوى انتقلت من الشرق إلى أوروبا بقوله: "وعم الوباء بلاد الفرنج وابتدأ في الدواب ثم الأطفال والشباب"، واشتد بالناس حتى عجزوا عن حصر الأموات[13].

وفي الوقت الذي أطلق فيه المؤرخون في الشرق العربي اسم "الفناء الكبير" أو "الفصل الكبير" ؛ أطلق عليه المؤرخون في الغرب الأوروبي اسم "الموت الأسود" "The Black Death" ؛ تمييزاً له عن غيره من الطواعين التي عرفها الغرب الأوروبي، والسبب في تلك التسمية راجع إلى ظهور بثور سوداء على جسم المريض؛ نتيجة للدغات البراغيث ناقلة المرض من الفئران السوداء، أو بقع سوداء لحدوث نزيف تحت الجلد، فضلاً عن أنه راح ضحيته ما يقرب من 50 % من السكان[14].

ولما كانت حادثة انتشار الموجة الرئيسية للموت الأسود عام(1347 – 1353م) قد أثرت على المجالات كافة، فمن الضروري قبل التعرض لآثارها السياسية تعرف طبيعة ذلك المرض ومصدره وكيفية انتشاره؛ لما في ذلك من اكتمال للصورة العامة حول نتائجه المختلفة.

فلا مراء في أن الموت الأسود(الطاعون) ينفرد بأنه أكثر الأوبئة التي عرفتها البشرية هولاً وفتكاً؛ من حيث سرعة الانتشار وقوة التدمير، فقد امتد أثره ليشمل أقاليم الأرض شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، وإصابة الإنسان والحيوان معاً[15].

ومن المؤكد أن تلك الفترة شهدت المزيد من الأحداث في الداخل، بدأت بانتشار الوباء عام(1348م)، الذي أحدثت نتائجه تغييراً كبيراً في المفاهيم السياسية للطبقتين الوسطى والدنيا، ومن ناحية أخرى فقد أسهمت الآثار السلبية الناجمة عن الحروب في زيادة التذمر الداخلي والحروب الأهلية؛ نظراً لزيادة الأعباء المالية على الشعب، بالإضافة إلى روح الانكسار التي تغمر الشعوب المنهزمة عقب الهزائم المتكررة التي تتلقاها جيوش بلادهم كما حدث في فرنسا وأسكتلندا على يد إنجلترا؛ ومن ثم أخذ هذا التذمر في الازدياد، حتى انفجرت الثورات في كل من فرنسا (ثورة الهلافيت (الجاكيري (Jacquerie عام 1356م) وفي إنجلترا ثورة الفلاحين عام 1381م، وكذلك انتشرت الحروب الأهلية في ألمانيا وإيطاليا[16].

أما عن مصدر الوباء؛ فنظراً لانتشاره في أغلب أنحاء العالم آنذاك، تعددت الآراء حول مكان ظهوره؛ فبعض المصادر العربية تشير إلى أنه ظهر أولاً في المناطق المطلة على البحر الأسود، حيث بلاد أزبك شمالي البحر الأسود وبحر قزوين، والخاضعة آنذاك لحكم مغول القفجاق، أو منطقة الظلمات (وهي المنطقة التي تشمل اليوم أجزاء من بلغاريا ورومانيا والمطلة على البحر الأسود، وروسيا الشمالية)، ومنهم من قال إنه بدأ في بلاد القرم في روسيا الحالية ثم انتقل منه إلى بلاد الإفرنج[17].

ومن ثم فإن غالبية المصادر العربية أجمعت على أن الطاعون ظهر أولاً في المناطق المطلة على البحر الأسود، التي كانت خاضعة -آنذاك- لحكم مغول القفجاق، أما عن موقف المصادر الأجنبية من منشأ الطاعون فيشير بعضها إلى أن مصدر الوباء يعود في ظهوره إلى بلاد الشرق الأقصى(الصين والهند) -وهى بلاد كثرت فيها الأوبئة والأمراض نظراً للزيادة السكانية- ثم انتقل إلى أوروبا عبر الطرق التجارية الرابطة بين الشرق والغرب، ومنهم من يذكر أنه بدأ أولاً في مدينة كافا Caffa على البحر الأسود، وهي أحد المراكز التجارية المهمة في دولة مغول القفجاق، التي أقام فيها تجار إيطاليا من جنوه والبندقية مراكز تجارية لهم لتجارتهم مع الشرق الأقصى، عبر الطرق البرية، ومن المعروف أن المدن التجارية الإيطالية قد اتسعت تجارتها وتشعبت علاقاتها التجارية مع أغلب البلدان في تلك الفترة، ولم يكن هناك ما يمنع وجود علاقات تجارية تربطها بموانئ الشرق الأقصى، ومنها عبر الطرق التجارية المختلفة إلى موانئ البحر الأسود، ثم إلى الموانئ الأوروبية، ومن ثم انتقل الوباء إلى الغرب الأوروبي[18].

ولما كان من صفات الموت الأسود أنه سريع الانتشار، فقد وصل في بداية الأمر إلى ميناء ميسينا Messina عام 1347م- أحد الموانئ المهمة في جزيرة صقلية- عن طريق مجموعة من السفن التجارية الإيطالية، التابعة لمدينة جنوه، والقادمة من موانئ البحر المتوسط؛ حيث كان الملاحون يحملون المرض، ومن ثم انتشر المرض داخل جزيرة صقلية، وأصبح كالنار في الهشيم وأصاب أعداداً كبيرة من الناس وقضى عليهم في غضون ثلاثة

أيام، ثم انتقل المرض إلى جنوه والبندقية وعدد من الموانئ الأوروبية، وسرعان ما انتشر إلى المناطق الداخلية عن طريق المراكز التجارية الداخلية، كذلك ساعد الهاربون من ويلاته على انتشاره في كل مكان[19].

وليس من شك في أن صقلية كانت أحد المراكز التجارية المهمة في عالم البحر المتوسط؛ فقد ساعدت على انتشاره في بقية المناطق شمالاً وجنوباً؛ حيث انتقلت العدوى إلى موانئ أوروبا الجنوبية، مثل البندقية وجنوه وبيزا ومارسيليا، ومن ثم انتشر في المدن الداخلية لفرنسا وإيطاليا، ولم يكد ينتصف عام 1348م حتى كان الوباء قد انتشر في القارة الأوروبية بالكامل؛ ومن ثم فإن أول ضحايا الوباء هم سكان المدن الساحلية، يليهم سكان المدن الداخلية، وبخاصة ذات الأهمية الاقتصادية، ثم إلى الأنحاء الأخرى، وكأن الريح نفخت المرض من الجنوب إلى الشمال؛ بحيث عم كلاً من إيطاليا وألمانيا وفرنسا وإنجلترا وأسكتلندا وإيرلندا، وغيرها من بلدان الغرب الأوروبي[20].

هذا، وقد اختلف التفسير حول سبب الوباء من قبل المعاصرين له، فمنهم من فسره على أنه غضب من الله أنزله على البشر لما اقترفوه من آثام، خاصة وأن العصور الوسطى في أوروبا عفت بعصور الإيمان، نظراً لتدخل الدين والكنيسة في كل شؤون الحياة؛ ومن ثم كان هناك تفسير قدري أو طبيعي، فمنهم من قال إنه نهاية العالم، وهناك من أرجعه إلى ظواهر فلكية، مثل خسوف القمر أو التقاء بعض الكواكب يؤدي إلى تسمم الهواء، الذي بدوره يؤدي إلى انتشار الوباء، ومنهم من أرجعه إلى الزلازل التي حدثت عام 1347م، بأنها أدت إلى تلوث الهواء نتيجة لخروج الغازات السامة، وقتلها لكثير من الناس؛ وبذلك انتشر الطاعون في كل أنحاء الغرب الأوروبي في تلك الفترة.

وأيما كان الاختلاف حول تفسيره فإن التفسير الطبي يؤكد أن المرض توطن فى شبه القارة الهندية، وانتقل عن طريق البراغيث، التي تتغذى على دماء القوارض وأهمها الفئران، وبعد موت الأخيرة تنتقل البراغيث للإنسان لتتغذى على دمه، حاملة معها الوباء[21]، ويتضح ما سبق من خلال الأشكال التالية :

شكل (1): طرق التجارة الرئيسية في أوروبا، وهي أهم وسائل نشر الوباء داخل أوروبا[22].

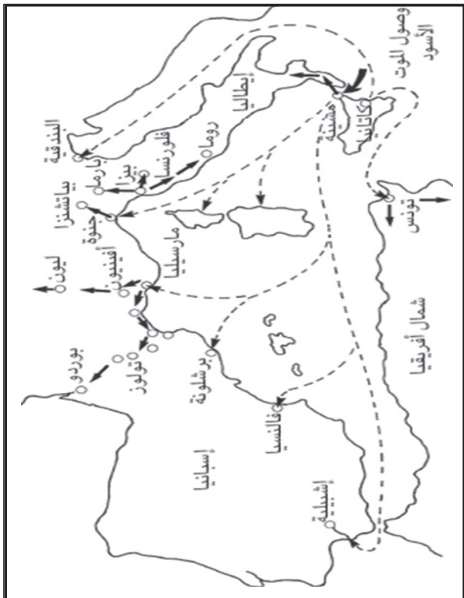

شكل (2): وصول الموت الأسود إلى ميناء مسينا الإيطالية وانتشاره في أنحاء مدن البحر المتوسط[32]

شكل (3): انتشار الموت الأسود من الشرق إلى الغرب في أنحاء أوروبا من عام **1347** إلى عام **1350**م[24]

وتتمثل أعراض الوباء في ارتفاع درجة حرارة الشخص المصاب، مع ألم في الصدر أو الأجناب، وسعال مع صعوبة في التنفس، واضطراب في النبض، وتقيؤ

الدم، وظهور انتفاخ في الغدد الليمفاوية خلف الأذن أو في أماكن أخرى؛ مثل تحت الإبط أو في منطقة الأفخاذ، مع حدوث بثرات سوداء متقيحة في أماكن لدغ البرغوث، وحدوث نزيف تحت الجلد، مع العلم أن تلك الأعراض لم تظهر مجتمعة على جميع المرضى، وإنما اختلفت على حسب نسبة الإصابة بالوباء وفترة حضانة المرض[25].

ومن ثم فقد عرفت أوروبا خلال تلك الفترة وباءً له عدة صور، منها طاعون الغدد الليمفاوية (الدبلي) والطاعون الرئوي (الهوائي) وطاعون الدم، وقد تتشكل إصابة الشخص من أحد هذه الطواعين أو اثنين منها أو بثلاثتها مجتمعة، وذلك كما سبق ذكره على حسب نسبة الإصابة وميعادها وكذلك مناعة المريض، فإذا ما أصاب الوباء شخص ما فعلى الفور ترتفع درجة حرارته، ويصاحب ذلك سعال مع ضيق في التنفس وظهور انتفاخات خلف الأذن، وحدوث بثرات تقيحية في جميع أنحاء الجسم ونزيف داخلي، ولا يستمر ذلك ثلاثة أيام ثم يتقيأ الإنسان دماً ويعقب ذلك الوفاة مباشرةً، ويلاحظ أن أخطرها من حيث معدل الوفيات طاعون الدم، والطاعون الرئوي[26]. كما يتضح من شكل (4) التالي :

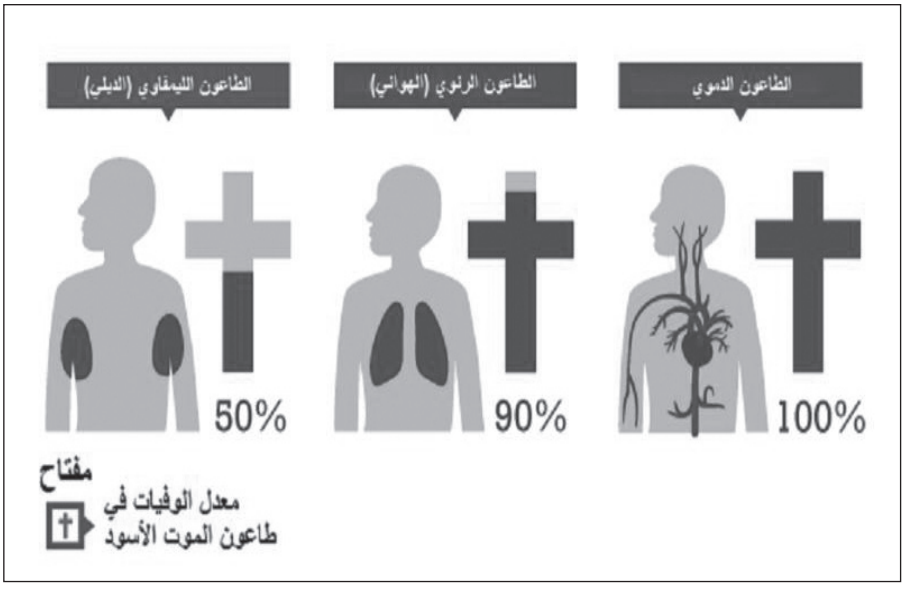

شكل (4) : أنواع طاعون الموت الأسود ومعدل الوفيات في كل منها[27]

أما عن طرق وأساليب انتشار العدوي؛ فتبدأ بالبراغيث المتغذية على دم الفئران المصابة بالمرض، وكذلك عن طريق إفرازات (رذاذ) الجهاز التنفسي للشخص المصاب – سواء بالاستنشاق أو حتى عن طريق اللمس كما يحدث الآن مع وباء كورونا المستجد– وكذلك قد تنتقل العدوى من إنسان إلى آخر بوساطة بعض الحشرات؛ مثل البراغيث والبعوض والذباب، أو عن طريق بعض الحيوانات المخالطة للإنسان والمصابة بالمرض عن طريق الفئران، وأخيراً عن طريق استخدام متعلقات الشخص المريض من ملابس وغيرها، ومع هذا فقد كانت البراغيث هي العامل الرئيسي في نقل العدوى، التي فضلت الانتقال من الفئران الميتة حاملة المرض إلى الإنسان، ويرجع ذلك إلى التقارب الشديد بين درجة حرارة جسم الإنسان مع الفئران، وكذلك طبيعة دم الإنسان الذي يحتوي على مواد بروتينية ضخمة تعتبر وجبة شهية للبراغيث، ويندرج ضمن العوامل التي هيأت وساعدت على سرعة انتشار الوباء وهول نتائجه الزيادة السكانية وخاصة في فرنسا؛ عدم الاهتمام بالنواحي الصحية؛ فالعديد من المدن الأوروبية كانت شوارعها مليئة بالقاذورات؛ مما جعلها بيئة صالحة لتكاثر الحشرات الناقلة للعدوى لكثير من الأمراض، علاوة على قلة المعلومات الطبية، وانعدام الخدمة الصحية لندرة المستشفيات والأطباء، وغيرها من العوامل[28].

وعلى أية حال عندما أتى الوباء إلى الغرب الأوروبي وجد التربة الخصبة، التي ساعدت على انتشاره؛ فالزيادة السكانية التي شهدتها البلاد تسببت في عجز الأرض عن مقابلة تلك الزيادة الهائلة، وقلة الإنتاج نتيجة ضعف خصوبة التربة، وعدم وجود الوسائل العلمية لزيادة الإنتاج، وتسبب ذلك في انتشار سوء التغذية، وبوجه عام ساءت الأحوال الصحية، وبخاصة أن المدن – آنذاك– لم تكن مخططة جيداً، فالمنازل مصنوعة من القش، وتربى بداخلها الخنازير، وشوارعها مليئةً بالقاذورات؛ مما جعلها بيئة صالحة لتكاثر الحشرات الناقلة للعدوى لكثير من الأمراض، وبيئةً كهذه من المؤكد ستنعدم فيها الخدمة الصحية، وتندر فيها المستشفيات؛ ومن ثم سيقل عدد الأطباء المهرة[29].

وتجمعت كل تلك العوامل لتحد من وسائل مقاومة الوباء، وهذا يفسر حديث بعض المؤرخين حول أن الأشخاص يختلفون من حيث المناعة الطبيعية الكامنة في أجسامهم،

ومدى أهميتها في مقاومة المرض، لذا نادى البعض بضرورة احتياط الأشخاص قليلي المناعة جيداً في طعامهم وشرابهم وحتى في نومهم[30].

وقد عجز الأطباء عن إيجاد الحلول المناسبة للقضاء على الوباء، واكتفوا بوصفات بالية؛ مثل كي الأَخْرِجَةُ والبثور التي تظهر على جسم المريض، أو استخدام عملية فصد الدم للتخلص من الدَم الفاسد، ومنهم من التجأ إلى العلاج بالسحر والشعوذة، وبوجه عام لم يكن حال الطب مناسباً للتصدي للوباء[31].

ولم يكن أمام الناس إلا الصلاة في الكنائس ليرفع الله عنهم البلاء، وأخذوا في الاهتمام بالنظافة العامة، وخاصة نظافة الطعام ودفن الموتى بطرق صحية سليمة، وخصصت إدارة المدن عربات لجمع القمامة، وأصدرت قرارات لمنع تلويث الأنهار[32]، ويتضح ما سبق من خلال الأشكال التالية:

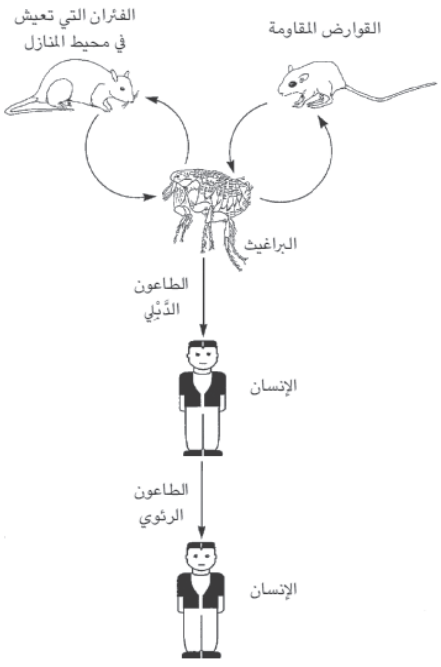

شكل (5) : دورة انتقال وباء الموت الأسود[33]

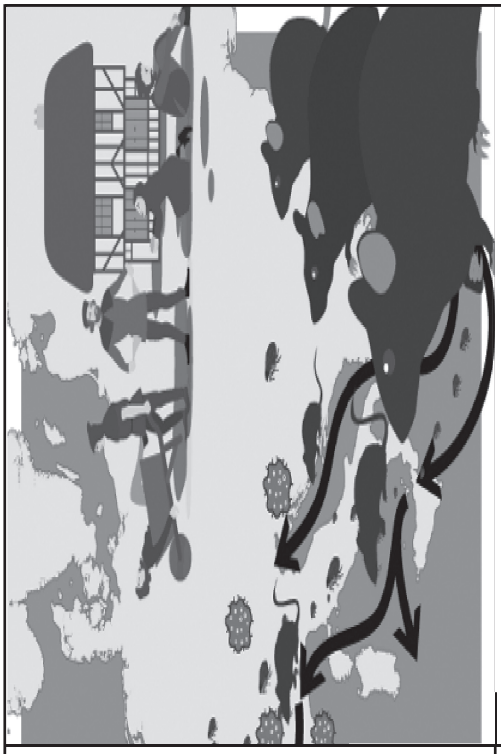

شكل (6): رقصة الموت، الفئران السوداء تنشر المرض بدءاً أوروبا بدءً من إيطاليا[34]

شكل (7): الأطباء وعلاج مرضى طاعون الموت الأسود الليمفاوي[35]

ثالثاً: مظاهر الحياة اليومية في ظل انتشار وباء الموت الأسود والآثار المترتبة على ذلك

يعني مصطلح (الحياة اليومية) ضمناً وجود قدر من الحالة السوية، والرتابة، والنموذجية، والاستقرار. لكن الحياة اليومية للجميع يصيبها الجمود في زمن الطاعون. وتعني لبعض الأشخاص التخلي عن كل شيء والهرب إلى مكان آمن، ولآخرين عزل أنفسهم في بيوتهم وانتظار الوباء. وتحل أنظمة دوائية وغذائية خاصة محل الطعام المعتاد على المائدة، وتحدّ قيود السفر الاتصالات بشدّة، حتى من التسوّق البسيط. وفي المدن، تفرغ المدارس، وتغلق الكنائس، وتهجر الدكاكين، ويرحل الجيران، ويتوقّف البناء، وتخلو الشوارع من الحشود، والمسارح من الجمهور. ويبدو الأمر كأنه عطلة طويلة مرعبة[36].

فقد أخذ الموت اليومي يوازن الحياة اليومية التي آلت إلى ما آلت إليه. فاختفت المعارف وظهرت إشارات على الأبواب الأمامية تحذّر الزوّار وتبعدهم. وحلّت النداءات الخشنة (أخرجوا الموتى) محلّ أصوات البائعين المتجوّلين في الشوارع الذين يعلنون عن

بضائعهم. وسُمع صرير العربات المحمّلة بجثث الموتى والمحتضرين على طول الشوارع بدلاً من العربات المليئة بالمواد الغذائية الطازجة والسلع الأخرى. ولم تعد النيران توقد للطهي أو التدفئة، وإنما لإحراق أمتعة الضحايا، أو معاقبة المجرمين، أو استدخان (التعقيم بالدخان) الجو (المسموم) على ما يفترض. وفي مواجهة الوباء، انحسرت الثقة بالأطباء والكهنة الكاثوليك، وتحوّل كثيرون إلى كتب المساعدة الذاتية الطبية وإلى البروتستانتية. ومع ذلك استمرّت الحياة على الرغم من سيادة الموت الأسود، فعدّل الناس عاداتهم، وافتراضاتهم، واهتماماتهم، وإجراءاتهم المتبعة للتكّيف مع الأوقات الاستثنائية. وحافظت الكنائس والمنازل والشوارع والطرقات والأديرة ومباني البلديات والمستشفيات ومشاهد (الحياة اليومية) على قدر من حيويتها، على الرغم من التحولات التي طرأت عليها بفعل الجثث، والباحثين، وحاملي الجثث، والمستدخِنين، وأطباء الطاعون، والمحتالين، وحفاري القبور، والساكنين الآخرين في زمن الطاعون. وهذه (الأماكن) هي نقاط الاهتمام الرئيسية في جولتنا بالغرب الذي عاث فيه الطاعون تخريباً وتدميراً. وقد نُظّمت فصول الكتاب حول الأنشطة المرتبطة بها وطرق تحوّل هذه الأنشطة نتيجة الطاعون وتكّرر حدوثه. وهي تستعرض الحياة اليومية في زمن الطاعون بالتجول في أماكن انتشاره وترداد أصداء أصوات قاطنيها، من الأطبّاء إلى الموظفين الحكوميين، ومن كتّاب المسرحيات إلى اللاهوتيين، ومن إمبراطور ما إلى دبّاغ عادي. فالمرض لم يهدّد عالم هؤلاء فحسب، وإنما أحدث فيه تغييراً دائماً أيضاً[37].

وعلى أية حال كان الناس في الغرب الأوروبي قبيل حلول الطاعون في حالة نفسية لا تسمح لهم بمقاومة مثل هذا الوباء المفاجئ، كذلك في صحة لا تستطيع مقاومة ذلك المرض الخطير، وقد رحب كثيرون منهم بهذا الموت الجماعي لخلاصهم مما كانوا يعانون منه من سوء التغذية وسوء الأحوال الاقتصادية والمالية ونكبات الطبيعة وكثرة الحروب والمنازعات التي عمت كل القارة الأوروبية[38].

وفي الوقت الذي كان فيه الطاعون ينتقل من بلد إلى آخر كانت مظاهر الحياة العادية تتوقف، كما كانت وسائل العلاج الطبية آنذاك عديمة الجدوى؛ بحيث نسمع أن رجال الدين كانوا يخشون من مجرد الاقتراب من الموتى وتلاوة القداس على أرواحهم، كما

كانت أبواب المنازل مفتوحة دائماً، ومع هذا لم يجرؤ أحد على اقتحامها أو السرقة منها، وتم الإفراج عن السجناء من سجونهم، وتم جلب الفلاحين من المناطق الجبلية لتكديس جثث الموتى داخل المقابر العامة، وفي البحر كانت السفن تحمل بحارتها موتى، تطفو على سطح الماء وكأنها سفن مهجورة[39].

ولعل أفضل وصف دقيق للحياة اليومية في مدن الغرب الأوروبي خلال انتشار الموت الأسود- ما ذكره المؤرخ الإيطالي المعاصر جيوفاني بوكاشيو، الذي ذكر "أن الكثيرين من الأشخاص قد تناولوا طعام الغذاء مع أصدقائهم في الأرض إلا أنهم تناولوا العشاء مع أسلافهم في الجنة، كان الناس يتحاشى بعضهم بعضاً، وهجر الأخ أخاه، كما هجروا والديهم وأبناءهم، ونسي الناس الخزي والعار، فالنساء اللاتي لم يلقين أية رعاية، لم يجدن غضاضة في تعريض أجسامهن على من يقوم بخدمتهن، ولم يهتم أحد بالموتى كما لا نهتم نحن بالشاة الميتة، وأهمل الفلاحون مزارعهم، ولم يفكروا إلا في الاستمتاع بما لديهم، كانت الحيوانات لا تجد من يقوم بحلبها، وتتجول وسط حقول القمح دون أن تجد من يمنعها، وأصاب المرض الأغنام والخنازير فماتت كما مات البشر، وتلاشت كل السلطات القانونية، وكل ما هو إنساني أو مقدس، كما ضاعت الروابط الأسرية، وضاع معها الحب والخير"، وذكر عن الناجين أنهم تركوا المدينة والتجؤوا إلى الريف، لكي يمضوا أيامهم في هموهم ورقصهم، وفي سرد بعض القصص المسلية[40].

فمن أمثلة مظاهر الحياة اليومية في بلدان غرب أوروبا في وقت تفشي الوباء، ما يلي:

على المستوى الحكومي وبعدما غمر طوفان الوباء أجزاء البلاد من سواحلها إلى بطونها، أخذ في الانحسار رويداً رويداً، إلى أن اختفت سحابته عن البلاد بعد عام 1353م، بعد أن مهد الساحة الداخلية لاستقبال سلسلة من الأحداث السياسية المهمة، ولما كانت الصلة وثيقة بين السياسة الداخلية والخارجية، فإن التأثير الذي أحدثه الوباء على الساحة الداخلية شكل الحاجز الأساسي بين الحكومات واستكمال الحرب خلال فترة انتشاره؛ حيث هبط الوباء على البلاد، معلناً كلمته بضرورة توقف الحرب؛ فقد أدى الوباء إلى نقصٍ حاد في الأرواح والأموال؛ مما تعذر معه استئناف الحرب؛ ومن ثم

توقفت الحروب بين الدول، مثل حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا، والعداء بين البابوية وألمانيا[41].

هذا، وقد قام كثير من المسؤولين في المدن بوجه خاص بتطهيرها مما بها من قاذورات، وفي بعض المدن تم منع المرضي والمصابين من دخولها، كذلك فرضت بعض المدن مثل (مسينا) بإيطاليا حجراً صحياً ونظاماً للوقاية؛ حيث خصصت بعض السفن لنقل جثث الموتى إلى بعض الجزر النائية، وفرضت حجراً صحياً على السفن القادمة إليها لمدة أربعين يوماً، ومن ذلك ما قامت به مدينة (بستويا) في إيطاليا من إصدار تشريع يمنع خروج أهاليها لزيارة المدن المجاورة، ومنع من قام بذلك من الدخول للمدينة مرة أخرى، كذلك منعت استيراد بعض البضائع، ووضعت الأسواق تحت إشراف دقيق، وقصرت من يخرجون لتشييع الجنازات على أسرة المتوفى فقط، ووضعت شروطاً لتحديد مستوى الدفن، وعدم ترك الخنازير والماعز ترعى في شوارع المدينة، أو إلقاء القاذورات والفضلات من النوافذ[42].

وعلى مستوى المؤسسات الدينية، فقد فتحت الكنائس والأديرة أبوابها أمام المرضى للتداوي وأمام المصلين للتضرع والدعاء إلى الله بإزاحة الوباء، وذلك على الرغم من أن المؤسسات الدينية كانت صاحبة الحظ الأوفر من الإصابات والموتى، خاصة مع ندرة الأطباء؛ الأمر الذي دفع رجال الدين وخاصة الرهبان إلى علاج المرضى، فأصيب وتوفي الآلاف منهم[43].

وعلى مستوى الطب والأطباء، فقد تجاوزتهم تماماً سعة الوباء؛ فعلى الرغم من دراسة الطب في الكليات وتحقيق بعض التقدم في علم التشريح في إيطاليا وفي إسبانيا وفرنسا، التي دخل إليها العلم العربي واليهودي؛ فإن الأطباء في معظمهم وحتى مشاهيرهم لم يتمكنوا من تعرف المرض وطبيعته، في أفينون؛ حيث عصف الطاعون بالسكان سبعة أشهر متوالية حاول بعض أرباب الطب محاولة جريئة فريدة في ذلك العصر لتشخيص أسباب الطاعون، فنبشت قبور وأخرجت بعض الجثث للفحص بأمر البابا، ولكن دون جدوى، ومن ناحية أخرى؛ فالأطباء عندما يزورون المرضى وإن كانوا

من الحكام كانوا يكتفون بمعرفة علمية مما في الكتب القديمة، وإذا تباحثوا بأسلوب العلماء عن أصل الضرر عزوه أحياناً إلى التقاء الكواكب في السماء، أو إلى تأثير المريخ الخبيث إله الحرب، ولا يعرفون إلا تفضيل الأدوية المسكنة؛ كالتطهير بالبخار؛ حيث سيطرت عليهم نظرية فساد الهواء، وينكرون أخطار العدوى، وتكشف عن عجز فن الجراحين وزاد الاعتماد على الحلاقين، الذين يحتقر نشاطهم ويقتصر على الضمادات والفصاد والمسهلات[44].

ومن ثم تجمعت جميع الظروف لتحول دون استطاعة الأطباء إيجاد العلاج الفعال وإنقاذ المرضى، ومن ثم لجؤوا إلى الطرق التقليدية والغريبة في محاولة يائسة من أجل الإنقاذ، ومن الوصفات المستخدمة خلطة الأعشاب بقرون وحوافر الحيوانات وكبد ومخ الخيول والماعز والأرانب. . . ، وطريقة "فصد الدم"، أو رش مسحوق الكبريت والزرنيخ على النار لقتل البكتيريا، أو غسل وجوههم وأيديهم بالخل من حين إلى آخر[45].

أما على المستوى الشعبي؛ فقد كان طبيعياً أن ينشغل الناس بهذا الوباء عن سائر اهتماماتهم اليومية، وانقسم الناس إلى فئات؛ فرأى البعض أن الاعتدال وحرمان النفس من الملذات سوف يكون مفيداً في تجنب الإصابة، بينما رأى آخرون أن يحبسوا أنفسهم داخل منازلهم ليكونوا في عزلة تامة عمن حولهم، ووجد فريق ثالث أن خير وسيلة للوقاية من الوباء هي أن يستمتعوا بالحياة وأن يشبعوا كل شهواتهم، وفريق رابع رأى أن يعيش حياة وسطاً بين الاعتدال والإسراف، وخرجوا ومعهم الزهور والروائح العطرية في أيديهم، بينما لجأ فريق آخر إلى أن يهيموا على وجوههم هرباً من مناطق الإصابة؛ لاعتقادهم أنه لا حياة لهم بين جدران المدن والمنازل، ومع ذلك لم يبق كثير منهم على قيد الحياة، وأخيراً فقد فر الكثير منهم إلى أبواب الأديرة والكنائس طالبين العون، كما يروي الراهب الإيطالي المعاصر في مدينة مسينا[46].

وعلى أية حال حاول سكان المدن عبثاً بشكل دائم ارتياد الحمامات العامة، والريفيون التمتع بنسمات الطبيعة، فكيف في غياب الماء الجاري ومصلحة رفع القمامات يمكن تأمين صحة جيدة حفظها؟ فالنصوص المعاصرة أقوى معبر عن هذه الحالة ولا سيما

الإرادات الملكية في باريس، التي تتكرر دون كلل أو ملل في سياق القرن، وعبئاً تلقى المسؤولية على قذارة الشوارع[47].

وفي فرنسا لجؤوا إلى إشعال النيران في مواقد خاصة أعدت لذلك لتطهير الهواء، أو حرق الزهور والأعشاب العطرية لإحراقها لتنقية الهواء، وقاموا برش أرضية المنازل بالخل وماء الورد، وبعضهم كانوا يرشون أنفسهم بالخل والبنفسج باستمرار[48].

ومن ثم كان لتلك الظاهرة الطبيعية (وباء الموت الأسود) آثار اجتماعية، أهمها التأثير على التعداد السكاني؛ حيث اختلت المعدلات السكانية، سواء معدلات الوفيات أو معدلات المواليد؛ إذ ارتفع معدل الوفيات في مقابل معدل المواليد، وظهر التأثير داخل المدن واضحاً أكثر منه داخل الريف؛ نظراً للازدحام الشديد داخل المدن، بعكس الحال في الريف. وتوافر الهواء النقي والبيئة النظيفة تقريباً. وإجمالاً فلم تراع الشروط الصحية، من حيث النظافة الشخصية، والتهوية الجيدة، وتدنى مستوى الطب وخاصة بعد تفشي الوباء. ومن ثم فقد حصد الوباء الآلاف من سكان الغرب الأوروبي، ويقدر البعض العدد ما بين ثلثين إلى نصف السكان وخاصة من بين صفوف الرهبان، بحسب ما تفيد سجلات الأديرة، وربما ساعده في ذلك طبيعة الحياة الديرية، التي تضم بين ثناياها مجموعة كبيرة من الرهبان. وأكثر من ذلك فقد تعرضت القرى القريبة من الساحل، وفى الوقت نفسه قريبة من مناطق العدوى في المدن المجاورة، إلى الفناء الكامل، وحقيقة الأمر فإن المرض أثر تأثيراً بالغاً على الوضع الديموجرافي للبلاد؛ الأمر الذي تطلب عقوداً طويله لعودتة للمعدلات الطبيعية[49].

وعن تأثير الموت الأسود على التوزيع الطبقي في البلاد، فكما سبق القول: إن التوزيع الطبقي في الريف قد تأثر، خاصةً فيما يتعلق بالطبقة الأرستقراطية، التي فضل العديد من أفرادها التحول إلى المدن والعمل بالصناعة والتجارة؛ ومن ثم التحول إلى الطبقة البرجوازية الرأسمالية؛ الأمر الذي أثرى الحياة الاجتماعية داخل المدن، ومن جهة أخرى فإن تحول بعض الإقطاعيين إلى المدن قد أفسح المجال أمام الفلاحين إلى تحسين أوضاعهم بعض الشيء؛ حيث تحول البعض منهم إلى مستأجرين للأراضي بعد أن كانوا يعملون فيها بالأجر، ومنذ ذلك الحين أخذوا يسعون وراء تحسين أوضاعهم الاجتماعية،

ومن جهة الأقنان والعبيد بدأت تظهر حالات التحرير الخاصة بهم، خاصة بعد إقدام الملاك على فعل ذلك تكفيراً لذنوبهم ليفرج الله عنهم هذه الأزمة، وفي المدن أدى انتشار الوباء إلى تكوين طبقة من الأثرياء، أرادت الاشتراك في حكم المدن، والسيطرة على اقتصادها؛ ومن ثم انتشرت ظاهرة هروب الأقنان (عبيد الأرض) من الريف إلى المدن(50).

هذا؛ وقد أدى المرض إلى زعزعة أعماق البلاد، وظلت نتائجه تتوالى خلال تلك الفترة، وأصبح هاجس الموت يدب بأنيابه فى داخل الشعور الإنساني للشعوب، وتغيرت عادات دفن الموتى في البلاد؛ فبعدما كانت تتم لها مراسيم خاصة ثم يتم دفن الميت فى مقابر العائلات، بعد إقامة الصلوات عليها في الكنيسة، لجأ الناس إلى حفر حُفَر كبيرة يلقون فيها جثث الموتى، ويغطونها بالتراب، دون حضور أحد القساوسة، أو حتى إقامة التراتيل الخاصة بالدفن، بل أدى الأمر إلى أن يقوم كثير من الجيران بحمل جثث الموتى، ويلقوا بها في الشارع أمام أبواب المنازل ليلاً، على أمل أن يراها أحد المارة في الصباح وبخاصة من رجال الدين الذين كانوا أكثر جرأة من غيرهم نحو الإقدام على دفن الموتى، ومع ازدياد الخوف من الموت انهارت الروابط الأسرية؛ حيث كان يفر المرء من زوجته والزوجة من زوجها، والأب من ابنه، والأبناء من الأمهات، وندر وجود الخدم، فأصبح هناك عادة استخدام الخدم من الرجال؛ مما ساعد على تفشي الكثير من الأمراض الاجتماعية، ولم يثبت أمام ذلك إلا رجال الدين، ويفسر ذلك أن كثرة الموتى في المدن كانت من بين صفوفهم؛ ومن ثم أدى كل ذلك إلى تناقص كبير في سلوكيات الأشخاص؛ فالذين أدركوا أن الحياة مهما طال أجلها لابد أن تنتهي، أطلقوا العنان لأنفسهم للاستمتاع بكل ما لذ وطاب، بينما البعض الآخر كرسوا أنفسهم ووقتهم للخلاص من ذنوبهم وآثامهم، وهم الذين تمثلوا في ظاهرة الجلادين Flagellants في البلاد، تلك الظاهرة التي يعود ظهورها إلى أواخر القرن العاشر، مع اقتراب الذكرى الألفية؛ حيث اعتقد الناس انتهاء العالم في ذلك التاريخ، ونزول السيد المسيح ليخلصهم من ذنوبهم، ومن ثم أخذوا يتجولون داخل القرى والمدن، ويقومون بضرب أجسادهم بالسياط، حتى تسيل دماً؛ تكفيراً عن ذنوبهم، ومن ثم فبعد انتشار الموت الأسود ظن الناس أن العالم أوشك على الانتهاء، ومن ثم ظهرت تلك الحركة مرة أخرى؛ حيث أراد معتنقوها تطهير أنفسهم عن

طريق ضرب أجسادهم بالسياط بحماسة منقطعة النظير، حتى ينزف الدم من أجسادهم، وكان انتشار تلك الحركة في المدن أكثر منه فى الريف[51].

ولعل الأسوأ تمثل في الهجوم اليومي على اليهود في غالبية مدن غرب أوروبا؛ لاتهامهم بالتسبب في نشر الوباء عن طريق تسميم الآبار وعملهم بالربا، وتم اتهامهم بوضع مخطط عام لتدمير العالم المسيحي، وعلى هذا الأساس شهدت كثير من مدن الغرب الأوروبي كثيراً من ألوان اضطهاد اليهود، وتم الاستيلاء على كثير من ممتلكاتهم وثرواتهم؛ ومن ثم تطور الأمر إلي حدوث مذابح شنيعة ضد اليهود في جنوبي فرنسا وفي فلورنسا بإيطاليا وفي إسبانيا وفي النمسا وعلى وجه الخصوص في ألمانيا[52].

وأتاحت الفوضى في زمن الوباء فرصاً كثيرة للسلوك الإجرامي، الذي شمل في بعض بلدان إيطاليا على سبيل المثال المشي في الشارع أو حتى فتح نافذة، أو سرقة أمتعة ملوثة بالطاعون أو اقتحام منازل مغلقة، أو عدم الإبلاغ عن الأمراض والوفيات، أو مغادرة المنازل المغلقة أو استقبال الضيوف في أثناء العزل، أو رفض الانتقال إلى مشفى الطاعون، أو تعطيل توجيهات سلطات الطاعون، وأدى كل ذلك إلى تناقض كبير في سلوكيات الأشخاص؛ فالذين أدركوا أن الحياة مهما طال أجلها لابد أن تنتهي، أطلقوا العنان لأنفسهم للاستمتاع بكل ما لذ وطاب، بينما البعض الآخر كرسوا أنفسهم ووقتهم للخلاص من ذنوبهم وآثامهم، لذلك كنت ترى بعض الشوارع تزدحم فيها الكنائس بالناس، بينما شوارع أخرى تزخر بالمستمتعين بكل مباهج الحياة وشرورها[53].

هذا، وقد أعقب الوباء ارتفاع غير مسبوق في الأجور والأسعار، بسبب الندرة في كل شيء وخاصة في طبقة العمال، التي وجدت الفرصة سانحة للربح المادي؛ حيث طالب العمال بالحصول على أجور مرتفعة، بدلاً من الخدمة في الأرض، ومن ثم فقد أعطوا لأنفسهم الحرية الكاملة في العمل لدى من يدفع أكثر، وأجبر ذلك النبلاء على استئجار العمال بأي ثمن؛ مما أدى إلى ارتفاع القيم العمالية داخل البلاد، الأمر الذي دفع الحكومات لاتخاذ التدابير لمواجهة هذا الأمر، ففي إنجلترا تم إقرار نظام العمال في عام 1349م، والذي يقضي بعودة العمال وأرباب الحرف إلى أجورهم القديمة، التي

كانوا يتقاضونها قبل عام 1346م، ويقضي النظام أيضاً بضرورة أن يحتفظ النبلاء بالأقنان والخدم داخل أراضيهم ولا ينتقلوا إلى مكان آخر، وعلى الرغم من ذلك فلم تأت تلك القرارات بنتائج حاسمة؛ حيث ارتفعت الأسعار مرة أخرى، وحصل كثير من العبيد على حريتهم، وانخرطوا في طبقة الفلاحين الأحرار، مشكلين إلى جانب صغار التجار والصناع نواة الطبقة الوسطى، وهنا تدخلت الحكومة مرة أخرى وأصدرت قراراً آخر في عامي 1350 و 1351م يتعلق بتحديد الأجور والأسعار، ولكن الأمر كان قد قُضِيَ، وذاق العمال والفلاحين طعم الحرية، وما تدره عليهم من تحسن في أوضاعهم، ومن ثم دافعوا بكل قوة عن الحقوق التي حصلوا عليها، وانتشرت حوادث الشغب في العديد من المقاطعات داخل البلاد، واستخدمت الحكومة جميع وسائل القمع للسيطرة على الوضع السياسي داخل البلاد، ولم ينجح ذلك سوى في السيطرة الجزئية على الوضع؛ حيث رضخ الثوار لأوامر الحكومة، ولكن هذا الرضوخ كان بمثابة الريح التي تسبق العاصفة (ثورة الفلاحين عام 1381م)[54].

هذا، وقد تأثر الإنتاج الزراعي بما شهدته تلك الفترة من تفشي المجاعة والوباء وما تبع ذلك من آثار على مصادر الإنتاج الزراعي؛ حيث أدى الوباء إلى هلاك العديد من المحاصيل، وحتى الذي تم حصاده بعد ذلك لم يكن بالكميات الوفيرة، التي تسد الاحتياجات الداخلية ويسمح بالتصدير الخارجي؛ ومن ثم تبع ذلك فترات زراعة تعمل على سد العجز الداخلي في المنتجات الزراعية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد أدى عزوف الزراع عن زراعة الحبوب والتوجه إلى الاهتمام بتربية الأغنام، إلى نقص المساحة المنزرعة بالحبوب، حتى إنه في أثناء انتشار الوباء كان هناك هجر عظيم لجميع أنواع الحبوب، لدرجة أنه لم يعد أحد يهتم بها، وتأثر أيضاً إنتاج اللحوم، ويذكر أنه في مرعى واحد مات أكثر من 500 رأس من الأغنام، ومن ثم تأثر إنتاج الصوف[55].

هذا، ولم تختلف أحوال الحرفيين عن أحوال العاملين بالقطاع الزراعي؛ حيث شهدت العديد من التغيرات خلال فترة انتشار الوباء؛ وذلك للتأثير المباشر الواقع عليهم جراء الوباء وكذلك نتيجة لفرض الحكومات ضرائب على الحرفيين وعلى منتجاتهم بين

الحين والآخر، وأدى هذا إلى إثقال كاهل الحرفيين بأعباء مالية إضافية؛ الأمر الذي أثر بشكل مباشر على الإنتاج، ولما كانت العملية الاقتصادية تمثل كياناً واحداً مترابطاً، فإن تأثر الإنتاج يتبعه تأثر في الأسعار، فمع نقص المعروض في الأسواق وعدم وجود الرقابة من قبل الحكومة فقد ظهر جشع التجار وأخذوا يغالون في الأسعار، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد أدى فرض الحكومة الضرائب على المنتجات الزراعية وبشكل مبالغ فيه؛ بحيث إن مقدار الضريبة كان يقارب سعر السلعة في أحيان كثيرة؛ الأمر الذي أدى في النهاية إلى رفع الأسعار لتحقيق الربح بعد دفع الضريبة المقررة على المنتجات[56].

ومن ثم؛ فإن هناك عوامل عديدة أثرت في تباين نسب الإنتاج وأسعاره، منها التحول من الاقتصاد الزراعي إلى الاقتصاد الصناعي والتجاري، الذي وضح من خلال إهمال العديد من الملاك للأرض والذهاب للعيش في المدن، ويأتي الوباء كأهم العوامل التي أثرت على نسب الإنتاج وأسعاره، ودفع هذا الأمر الحرفيين والعمال لاستغلال الظروف الناجمة عن انتشار الوباء، ومن ثم قاموا برفع أجورهم وكذلك أسعار منتجاتهم، فوصل ثمن زوج الأحذية إلى 40 بنساً، وبلغت أجرة الحصاد 8 بنسات، وأجرة الجزاز – من يجز صوف الغنم – 12 بنساً؛ الأمر الذي جعلهم في صدام دائم مع الحكومة[57].

ومن ثم فإن مظاهر الحياة اليومية خلال سنوات انتشار وباء الموت الأسود شهدت العديد من الآلام التي قاستها شعوب بلدان الغرب الأوروبي (راجع شكلي 8، 9)، وأثر ذلك على جميع مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ ومع ذلك استمرّت الحياة على الرغم من سيادة الموت الأسود، فعدّل الناس عاداتهم، وافتراضاتهم، واهتماماتهم، وإجراءاتهم المتبعة للتكّيف مع الأوقات الاستثنائية.

وحافظت الكنائس والمنازل والشوارع والطرقات والأديرة ومباني البلديات والمستشفيات ومشاهد (الحياة اليومية) على قدر من حيويتها، على الرغم من التحولات التي طرأت عليها بفعل الجثث، والباحثين، وحاملي الجثث، والمستدخِنين، وأطباء الطاعون، والمحتالين، وحفاري القبور، والساكنين الآخرين في زمن الطاعون[58].

شكل (**8**): صورة مصغرة تصور مواطني تورناي ، بلجيكا تدفن أولئك الذين ماتوا بسبب الطاعون أثناء الموت الأسود. **1353**.
(مكتبة بلجيكا الملكية) (59)

شكل (**9**): صور للأطباء والمساعدين في جمع الموتى وهم يرتدون واقيات للأنف والفم من القماش (60)

الخاتمة (أهم النتائج والتوصيات)

من خلال التعرض بالدراسة لوباء الموت الأسود وانتشاره في الغرب الأوروبي خلال منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، ومظاهر الحياة اليومية خلال موجات انتشار

هذا الوباء، وكذلك الآثار السياسية والاجتماعية والاقتصادية . . . . المترتبة عليه داخل بلدان غرب أوروبا يتضح العديد من النتائج والتوصيات، من أهمها ما يلي :

أولاً- النتائج

1 – يعد وباء الموت الأسود (الطاعون) جائحة عالمية، لم يقتصر انتشارها على قارة أوروبا فحسب، وإنما انتشر في غالبية ربوع المعمورة.

2 – مثلما كانت التجارة هي مصدر السعادة للمدن التجارية في غرب أوروبا وعلى رأسها المدن الإيطالية والفرنسية والإنجليزية؛ كانت أيضاً هي مصدر التعاسة بالتسبب في نشر هذا الوباء عن طريق جلب القوارض ناقلة المرض من الشرق.

3 – أسهم عدم الاهتمام بالنظافة الشخصية وقلة المعرفة الطبية في تفاقم النتائج السلبية لهذا الوباء.

4 – تشابهت مظاهر الحياة اليومية في ريف ومدن بلدان غرب أوروبا في أثناء تفشي الوباء، من حيث انقسام الناس، بين متعبد وفارّ ومخبول ومريض ومجرم إلى آخره.

5 – استمرت الكنائس والأديرة في فتح أبوابها أمام المرضى والمتعبدين؛ على الرغم من فداحة الموقف، وضراوة الوباء؛ الأمر الذي أوقع العديد من الرهبان والكنسيين فريسة لهذا الوباء.

6 – في الوقت الذي قامت فيه العديد من المدن بفرض حجر صحي على السكان الأصحاء والمرضى؛ كان هناك العديد من المدن التي أهملت هذا الأمر؛ الذي ترتب عليه زيادة الوفيات بين صفوف سكانها.

7 – على الرغم من وجود المستشفيات؛ فإنها لم تكن بالقدر الكافي لاستيعاب العدد الهائل من المرضى، علاوة على بدائية صنعة الطب، واعتماد الأطباء على الوصفات القديمة والتنجيم والسحر والشعوذة في كثير من الأحيان لعلاج المرض.

8 – توقفت الأعمال في المدن إلى حد كبير، إلا فيما يتعلق بالمهن المرتبطة بالوباء؛

كالأطباء ورجال الدين ورجال الأمن وحفاري القبور وناقلي الجثث، في الوقت الذي تأثرت فيه أعمال الريف وعلى رأسها الزراعة؛ نتيجة لقلة الأيدي العاملة، وارتفاع أجر العمال.

9 – ارتبط بالوباء العديد من الظواهر التي شغلت الحياة اليومية في تلك الفترة؛ ومنها اضطراب الأخلاق وتغير السلوك المجتمعي، والاعتداءات على اليهود، وعودة ظاهرة الجلادين، وتفشي ظاهرة هروب الأقنان إلى المدن بحثاً عن الحرية، وفرار الأثرياء من المدن إلى الريف بحثاً عن النجاة.

10 – من خلال دراسة طبيعة الموت الأسود وطرق انتشاره يوجد ثمة أوجه تشابه واختلاف بين ذلك الوباء (الموت الأسود) في العصور الوسطى وبين فيروس كورونا كوفيد 19 المنتشر في عصرنا الحالي (نهاية عام 2019 وخلال 2020)، منها:

(أ) تشابه بلد المنشأ وهي مناطق شرق آسيا.

(ب) اختلاف المعدل بين وباء الموت الأسود ووباء كورونا المستجد؛ فوباء الموت الأسود يتميز بكثرة الإصابات وكثرة الوفيات في حين يتميز وباء كورنا بكثرة الإصابات مع قلة الوفيات.

(جـ) تعدد التفسيرات غير الطبية حول ظهور الوباء، فكما كانت تفسيرات ظهور الموت الأسود يتمثل بعضها في التقاء الكواكب أو العقاب الإلهي أو بسبب الشعب اليهودي، تتمحور تفسيرات ظهور كورونا حول كونه سلاحاً بيولوجياً أو العقاب الإلهي وعادات الشعب الصيني وشبكة الـ 5G.

(د) المبالغة في أعداد المرضي والوفيات.

وغير ذلك من أوجه الشبه والاختلاف.

ثانياً- التوصيات

– أن يكون هناك دراسة مقارنة بين وباء الموت الأسود والأوبئة المنتشرة حديثاً وعلى رأسها

وباء كورونا المستجد Covid 19، من حيث منشأ الوباء وطبيعته وأعراضه وطرق انتشاره وأسباب ذلك، والإحصائيات في كل منطقة، وكذلك الآثار الناجمة عنه على الصُّعد كافة.

الهوامش والمراجع

(1) – Cantor, Norman: **In the Wake of the Plague**, New York, Simon & Schuster, 2015, pp.5-6.

بيرنجيه، جان وآخرون: **موسوعة تاريخ أوربا العام**، ترجمة: وجيه البعيني، ق2، بيروت: منشورات عويدات، بيروت، 1995، ص8.

(2) – Aberth, John: **The Black Death: The Great Mortality of 1348-1350: A Brief History with *Documents,*** Bedford, St. Martin's, 2005, pp.3-4;

علي، علي السيد: "الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي"، **المجلة التاريخية المصرية**، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مج 33، القاهرة 1986، ص168 – 169.

(3) – **The Black Death: The Great Mortality of 1348–1350**: ***A Brief History with Documents,*** p.4.

"الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي"، ص169.

(4) "الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي"، ص169 – 170.

(5) حاطوم، نور الدين: **تاريخ العصر الوسيط في أوربة**، ج2، ط 1، دمشق: دار الفكر، 1993م، ص363.

(6) – Campbell, B: **Before the Black Death,** Manchester, Manchester University Press, 1992, pp.1-6; **The Black Death: The Great Mortality of 1348-1350: *A Brief History with Documents,*** p.5.

تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص363.

(7) – The Black Death: The Great Mortality of 1348-1350: *A Brief History with Documents,* p.5.

بيرين، هنري: **تاريخ أوربا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)**، ترجمة وتحقيق: عطية القوصي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1966، ص183؛ **تاريخ العصر الوسيط في أوربة**، ص183.

(8) تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص364.

(9) – Before the Black Death, pp.8-19.

بيشوب، موريس: **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ترجمة: علي السيد علي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص 343.

(10) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص343.

(11) تاريخ أوربا في العصور الوسطى (الحياة الاقتصادية والاجتماعية)، ص184.

(12) – Krasner, B.: **Bubonic Plague**: **How the Black Death Changed History,** New York, Capstone

Press, 2019, pp.10-13; Byrne, J.B: **The Black Death**, London, Green Wood Press, 2004, pp. 15-20.

(13) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج2، تحقيق: د. محمد مصطفى زيادة، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1956، ص 772 – 776، سعداوي، حسان: **تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى**، القاهرة: دار النهضة العربية، 1968، ص 140.

(14) – The Black Death، pp. 57–58.

(15) – Myers, A.R.: Doc.No.31(The Black Death, 1348), in ***English Historical Documents, vol.4, (1327 1485),*** ed. by London, Longman, p.89; **The Brut Chronicle**، part.II, ed. by Brie, F.W.D., London, Kegn Paul, 1906, p.301; Baker, Galfridi Le: **Chronicon Galfridi Le Baker**، ed. By Edward Maunde , Oxford, Clarendon Press, 1889, p.99; Capgrave, J.: **The Chronicle of England**، ed. by Hingeston, F.C., London, Longman, 1858، p.213.

(16) – In the Wake of the Plague, p.24;

(17) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ص 773 – 774؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**، ج18، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن، القاهرة: دار هجر، 1998، ص502.

(18) – Doc.No.94(Spread of the Plague), in ***A Source Book of English Historical, Leading Documents,*** ed. by Lee, G.C, New York, Henry Holt and Co., 1906, p.203; Doc. in ***Basic Documents in Medieval History***, ed. by No.73(The Black Death,1348), Downs, N., London, D. Van Nostr and Co., W.D, p.169; Doc.No.31(The Black Death, 1348): p.89; Doc.No.45(The Black Death), in ***Fifty Documents in Medieval History***, ed. by Ashour, S. & Rabie, H., Cairo, Dar Al-Nahda Al Arbiyya, 1971, p.121; Reading, J.: **Chronica (1346–1376)**, ed. by Tait, J., Manchester, Manchester University press, 1914, p.106.

(19) – Doc.No.31(The Black Death, 1348): p.89; Tout, T.F.: **The History of England 1216–1377**, London, Longman, 1905, p.370;

تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص353؛ كين، موريس: **حضارة أوربا في العصور الوسطى**، ترجمة: قاسم عبده، القاهرة: عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، 1994، ص252، "الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي"، ص166.

(20) – Doc.No.31(The Black Death, 1348), p.90; Doc.No.94 (Spread of the Plague), p.203; Doc. No.73(The Black Death,1348), pp.169-170; **A Chronicle of Irish Affairs**، vol.I, ed. with trans. by Hennessy, W.M., London, Longman, 1871, p.3; Clyn, F.J: **Annals of Ireland**،

ed. by Butler, R., Dublin, Dublin University Press, 1849, pp.23; Putnam, B.H., **The Inforcement of the Statutes of Labourers,** London, Longman,1908, p.1.

البداية والنهاية، ص503–502؛ تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص365، "الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي"، ص166؛ بروى، إدوارد، وأخرون: **تاريخ الحضارات العام**، ج3، ترجمة: يوسف داغر وفريد داغر، بيرو: ، منشورات عويدات، 1986، ص445؛ ويلز، هـ.ج: **معالم تاريخ الإنسانية**، ج3، ترجمة: عبدالعزيز توفيق، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة، 1972، ص982.

(21) - Doc.No.77(An Account of the Black Death,1348), in ***Select Document of European History, vol.I,*** ed. by Laffan, R.G.D., London, Methuen and Co.,1936, pp.162-163.

وانظر: البداية والنهاية، ص503.

(22) سكوت، سوزان ودنكان، كريستوفر: **عودة الموت الأسود أخطر قاتل على مر العصور**، ترجمة: فايقة جرجس، مراجعة: هاني فتحي، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي، 2017، ص 62.

(23) عودة الموت الأسود أخطر قاتل على مر العصور، ص 26.

(24) عودة الموت الأسود أخطر قاتل على مر العصور، ص 28.

(25) - Doc.No.94(Spread of the Plague), p.204;The Brut Chronicle, pp.301,303;

وانظر: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ص 775.

(26) - Doc.No.77(An Account of the Black Death, 1348), pp.162-163; Chronicon Galfridi Le Baker, p.99; Pearson, C.H.: **English history in the Fourteenth Century,** London, Rivingtons, 1876, pp.153,155.

(27) - The Black Death, available at https://www.bbc.co.uk/bitesize/guides/z7r7hyc/revision/3 accessed on 04/20/2020 at 11.00 A.M.

(28) - The Black Death, pp. 73-74;

(29) - The Brut Chronicle, p.303;

"الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي"، ص 169 – 170.

(30) تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص365، "الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي"، ص153، 170–169.

(31) تشوسر، جيوفري: **حكايات كانتربري**، ترجمة: مجدي وهبة وعبدالرحمن يونس، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983، ص59،

- The Black Death, pp.34.

(32) - Doc.No.94 (Spread of the Plague), p.203; English history in the Fourteenth Century, p.154.

تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص365، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص354، "الفناء الكبير

والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي" ، ص157 .

(33) عودة الموت الأسود أخطر قاتل على مر العصور، ص182 .

(34) - A summary of the Black Death, available at https://www.bbc.co.uk/bitesize/guides/z7r7hyc/ revision/1 accessed on 04/19/2020 at 5.45 B.M.

(35) - Louisiana, Louise, A.:**The Black Death and its effect on fourteenth- and fifteenth century art,** State University, 2007, pp.34-35.

(36) بيرن، جوزيف: **الموت الأسود**، ترجمة: عمر سعيد، أبوظبي: هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، 2017، ص16 .

(37) الموت الأسود، ص . 16 .

(38) "الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي" ، ص170 .

(39) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص354 – 355 .

(40) - Boccaccio, G.: **The Decameron,** trans by Aldington, R., vol.1, London, G.P. Putnam's Sons, 1930, pp.7-8;

(41) - Chronicon Galfridi Le Baker, p.100; English history in the Fourteenth Century, pp.157-158; Cross, A.L.: **A History of England and Great Britain,** New York, the Macmillan Company, 1914, p.200.

نسيم، جوزيف: **تاريخ العصور الوسطى وحضارتها**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2006، ص232؛ فشر، هـ.ل: **تاريخ أوربا فى العصور الوسطى**، ق2، ترجمة: محمد مصطفى، القاهرة: دار المعارف، 1954، ص323؛ **تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى**، ص142؛ "الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي" ، ص181؛ عبدالباري، أشرف: **حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا (1337–1453م)**، طنطا: جامعة طنطا، 2006، ص93 .

(42) - Geltner, G.: The Path to Pistoia: Urban Hygiene before the black death, I the Tyranny of the black death in public health historiography, **Past | Present، a journal of historical studies,** Number 246, volume 246, Issue 1, February 2020, Oxford, Oxford University press, pp.31-33.

"الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي" ، ص 158 .

(43) جوتفريد، روبرت: **الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى**، ترجمة وتقديم: عبادة كحيلة، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 2017، ص96 – 97 .

(44) - The Black Death, pp.33-55.

تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص365 – 366، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ص319 .

(45) "الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي" ، ص160 .

(46) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص353، "الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي"، ص157.

(47) تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص365.

(48) "الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي"، ص157 – 158.

(49) - Doc.No.94(Spread of the Plague), p.203; Doc.No.45(The Black Death), p.121; Ackerman, C.: The Rural Demography of Medieval England, in ***Ethno history, vol.23,No.2,*** Duke, University Press, 1976, p.113.

وانظر: أوربا منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، ص16.

(50) - Section.IV. Doc.No.24 (Grant of A Bond Man) and Doc.No.27(The Effect of the Black death,1350), in ***English Economic History, Select Documents,*** ed. by Bland, A.E.: London, Bell, G., and Sons, 1914, pp.98,102-103; Doc.No.94(Spread of the Plague), pp.203-206. Doc.No.70 (Statute of Laborers), in ***Select Documents of English Constitutional History,*** ed. by Burton, G., and Stephens, H.M., New York, Macmillan Company, 1901, pp.114-117. Bowman, F.L.: **Britain in the Middle Ages**, Cambridge, University Press, 1920, pp.87-88.

لانجر، وليام: **موسوعة تاريخ العالم**، ج3، ترجمة: محمد زيادة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1962، ص725؛ تاريخ العصر الوسيط في أوربة، ص384 – 385.

(51) - Doc.No.27(The Effect of the Black death,1350), pp.98,102-103; Doc.No.94(Spread of the Plague), pp.203-206.

أوربا منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، ص39؛ "الفناء الكبير والموت الأسود في القرن الرابع عشر الميلادي"، ص176 – 178.

(52) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص357، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ص320.

(53) تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ص320.

(54) - Doc.No.94(Spread of the Plague), p.205; Doc.No.69(An Ordinance Concerning Laborers and Servant), in ***Select Documents of English Constitutional History,*** ed. by Burton, G., and Stephens, H.M., New York, Macmillan Company, 1901, pp.114-115; Doc. No.95(Statute of Labourers,1349), in ***A Source Book of English Historical, Leading Documents,*** pp.206-207; Doc.No.70(Statute of laborers, 1351) ***&*** Doc.No.71(Statute Provisors of Benefices), pp.116-121.

تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص353؛ إسكندر، نجيب: **تاريخ العصور الوسطى الأوربية**

وحضارتها، المنصورة: المكتبة العلمية، د.ت، ص233؛ حضارة أوربا في العصور الوسطى، ص253، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، تاريخ إنجلترا وحضارتها في العصور القديمة والوسطى، ص141 – 142، موسوعة تاريخ العالم، ص725.

(55) - Doc.No.94(Spread of the Plague), pp.204.

(56) - Doc.No.45(the Black Death): pp.121-122;

بور، إيلين: **طوائف أرباب الحرف والتجار في العصور الوسطى التجارية**، تاريخ العالم، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، جزء 5، د.ت، ص320 – 321،

(57) - Section.IV, Doc.No.28(Account of the Iron – Works of South Frith Before and After the Black Death 1345-1346, 1349-1350): p.104.

طوائف أرباب الحرف والتجار في العصور الوسطى التجارية، ص321 – 322، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ص 356.

(58) الموت الأسود، ص. 16 – 17.

(59) - The Black Death and its effect on fourteenth- and fifteenth century art, p.36.

(60) - The Black Death: The Great Mortality of 1348-1350: *A Brief History with Documents*, p.16.